دور الصناعة التقليدية الصحراوية في تفعيل السياحة الصحراوية

دراسة ميدانية في منطقة الزيبان "بسكرة"

د. سميحة يونس **أ.كلثوم مسعودي**

جامعة برج بوعريريج جامعة قاصدي مرباح ورقلة

Miha_y@hotmail.fr kaltmagis07@hotmail.fr

الملخص:

تختلف حياة الإنسان الصحراوي عن حياة الإنسان في باقي المناطق، لما لهذه الحياة من ميزات وخصائص وعادات وتقاليد مرتبطة بالبيئة الصحراوية، وتعتبر الأصعب بالمقارنة مع باقي البيئات. إلا أنه استطاع بالرغم من كل الصعاب أن يسخر هذه البيئة ليخلق منها جوا ملائما للإبداع الثقافي، ليشكل تواصلا مع الشعوب ويبين الخصائص الطبيعية والحضارية والثقافية والاجتماعية للحياة الصحراوية، فكانت الصناعة التقليدية من بين أهم وسائل التعريف والتواصل المستوحاة من واقع البيئة الصحراوية، والتي تمثل مظهر من مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية التي تعبر عن مميزات هوية الإنسان الصحراوي (الإبداع وليد البيئة)، وتسهم في التعريف بالموروث الثقافي والحضاري لمنطقة الصحراء.

من هذا المنطلق، تحاول هذا المداخلة الإجابة على الإشكال التالي:

- كيف استطاع الإنسان الصحراوي تسخير ظروف بيئته لإبراز الهوية الصحراوية من خلال الصناعة التقليدية الصحراوية؟
- كيف تساهم الصناعة التقليدية الصحراوية (خاصة القائمة على مشتقات النخيل) في عملية الجذب السياحي؟

Summary :

Human life in desert is different from human life in other areas, as for this life of the features and characteristics, customs and traditions associated with the desert environment, however, he was able in spite of all odds to make fun of this environment to create such an atmosphere appropriate to the cultural creativity, and represents a manifestation of the cultural and social life that reflect the characteristics of human identity and contribute to the desert in the definition of cultural heritage and civilization of the Sahara.

From this standpoint, this intervention is trying to answer the following questions:

• How could harness the desert conditions of the human environment to highlight the identity of the desert during the handicraft desert?

• How to contribute handicraft desert (especially palm-products) in the process of tourist attractions?

مقدمـــة:

مما لا شك فيه أن منطقة الصحراء قد ساهمت في تثمين التراث الثقافي المادي وغير المادي وذلك من خلال الموروث الشعبي بمختلف أنواعه، الذي يصور المراحل التي مرت بها هذه المنطقة، ولعل من أجمل صور التعبير للتراث الصناعة التقليدية التي تمثل إحدى المكونات الأساسية للشخصية الصحراوية الإبداعية، فهي الوسيط بين الماضي والحاضر، يستقبلها العالم في صورة منتوج صغير لتبلغ عن رسالة أصيلة معطرة برائحة الحضارات السالفة، والتراث الإنساني الثقافي الذي صهرته عبر سيرورة التاريخ القدرة الخلاقة الإبداعية للإنسان الصحراوي بصفة عامة، وللصانع التقليدي خصوصا، وهو ما يبرز اعتزازه بكينونته وانفتاحه على الآخر. والصناعة التقليدية صورة لهذا المجتمع في كل مراحل تطوره لهذا جاءت منتجاتها متنوعة، وغنية بالدلالات الاجتماعية والتاريخية، وهذا التنوع دال على المستوى الحضاري المتميز للمجتمع.

لقد أصبح التراث المحلي وإعادة تمثيله وإحيائه هدفا للمؤسسات المحلية والوطنية والدولية، وتعود الموجة إلى عدة أسباب ذاتية وموضوعية، منها المرتبطة بالجدل حول الهوية وتعريفها، أو ضمن تقاطع بين الأبعاد السوسيو–ثقافية والاقتصادية والسياسية،

مما جعل من دراسة التراث الثقافي مبحثا متجددا، لأنه يطرح تمثل وإسترجاع الماضي التاريخي والاجتماعي، ضمن قراءة معاصرة للتراث المحلي والحياة اليومية للمجتمع بما يسهم في بلورة أفكار وتصورات جديدة حول التراث والهوية الثقافية.

1- مفهوم الهوية: الهوية مأخوذة من "هُوَ "بمعنى جوهر الشيء وحقيقته، أو كما يعرفها أحد الكتاب هي: الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب[1].

ونجد في كل شيء إنسانًا أو ثقافة أو حضارة سواء من الثوابت أو من المتغيرات، لذلك فإن هوية الشيء هي ثوابته التي تتحدد لا تتغير، وتفصح عن ذاتها دون أن تترك مكانها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة[2].

وبالهوية يمكن التمييز بين الأمم للتعبير عن شخصياتها الحضارية، لذلك فقد أدرك منذ زمان الصليبيون والصهاينة أن استعادة المسلمين لهويتهم الحضارية خطر عليهم ومن ثم يجب غزوهم فكريًا ولغويًا حتى تطمس مميزات شخصيتهم[3].

2- مفهوم الثقافة: لاقى تعريف الثقافة اختلافًا كبيرًا بين المفكرين والعلماء، حيث عدد الباحثين (A.L.Kroebers et Clyde HBR) أكثر من 160 تعريفًا للثقافة، ووجدوا أنها تساعد على تمييز الأفراد والمجتمعات عن بعضها البعض وهي الخاصية التي تؤكد على الصفة الإنسانية للبشر، وهي الأسلوب الذي يسير عليه الناس في حياتهم، وهي السلوك الحياتي... إلى غير ذلك من التعريفات، وأقدم التعريفات وأكثرها شيوعًا هو تعريف "إدوارد تايلور" حيث عرفها بأنها " كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوًا في المجتمع"، وهذا التعريف ظهر في القرن 19 الميلادي.

– ومن التعريفات الحديثة نجد تعريف "روبرت بيرستو" في أوائل التسعينات حيث يعرف الثقافة بأنها هي: " ذلك المركب الذي يتألف من كل ما نفكر به أو نقوم بعمله أو نمتلكه كأعضاء في مجتمع ما"[4].

وللثقافة مفاهيم وتعريفات متعددة من أبرزها :

أ– الثقافة بالمعنى التقليدي تعني عملية الإنتاج الأدبي والفكري والفني.

ب –الثقافة بالمعنى الأنثروبولوجي تعني أنماط السلوك المادية والمعنوية السائدة في مجتمع من المجتمعات والتي تميزه عن سواه.

ج – الثقافة اليوم اتسع معناها فأخذت تشمل مجموعة النشاطات والمشروعات والقيم المشتركة التي تكون الأساس للرغبة في الحياة المشتركة لدى أمة من الأمم، والتي ينبثق منها تراث مشترك من الصلات المادية والروحية الذي يغتني عبر الزمن، ويغدو الذاكرة الفردية والجماعية التي تبنى على أساسها مشاعر الانتماء والتضامن والمصير الواحد.

د– الثقافة والحضارة هذان المفهومان يكادان يندمجان مع بعضهما، بعد أن اتسع معنى الثقافة، وغدت الحضارة هي الثقافة بالمعنى الواسع للكلمة، أو أن الحضارة هي نتاج الثقافة، وغدا كلا اللفظين يضمان القيم والمعايير والمؤسسات وأنماط التفكير في مجتمع ما أو أمة معينة وبالتالي فان الحضارة هي نتاج عملية الإبداع الذي قدمه شعب معين والحضارة تبقى أو تستمر، فهي ديناميكية، ولكن درجة استمرارها مرهونة بدرجة استجابتها للتحديات كما يقول توينبي.

هـ – و يميز البعض بين العناصر الآتية للثقافة :

ـ الثقافة كنسق اجتماعي عناصره هي القيم والمعتقدات والمعارف والفنون والعادات والممارسات الاجتماعية والأنماط المعيشية.

ـ الثقافة بوصفها انتماء يعبر عن التراث والهوية والحمية القومية، وطابع الحياة اليومية للجماعة الثقافية.

ـ الثقافة بوصفها تواصلا من خلال نقل أنماط العلاقات والمعاني والخبرات بين الأجيال، وهو التعريف الذي تدعم بفعل ثورة المعلومات والاتصالات.

ـ الثقافة بوصفها دافع للابتكار، والإبداع والنضال ضد القهر، والتصدي لأصناف الظلم.

يمكن تقسيم الثقافة الجزائرية إلى مجالين كبيرين:– المجال التقليدي – المجال الحديث والمجال التقليدي يتمثل في الثقافة الموروثة عن الماضي، أي التي يشملها مفهوم التراث والتي يمكن تقسيمها من ناحيتها إلى المركبات التالية: -الدين: العبادات والمعتقدات وقواعد السلوك العامة.

– **التراث المكتوب**: ويشمل الشعر وعلوم الدين، واللغة، والتصوف، والرحلات، والتاريخ....

– **التراث المادي**: ويمكن أن نذكر بهذا الصدد الفن المعماري المتمثل في القصور والمساجد والمدن و في فن الزخرفة والتجميل، وفي الصناعات اليدوية، والنحاسية، والفخارية، والجلدية، والخشبية، وفي الحلي والطرز، وفي فن الطهي.

– **التراث الترفيهي والرمزي**: ويبدو ذلك في الشعر، السير، والمغازي، الحكايات، الأمثال، واللهجات، و كذا الفولكلور من رقص وغناء، والألعاب أيضا.

– أما المجال الحديث في الثقافة فهو يتشكل من القطاعات التي تبلورت نتيجة الاحتكاك بحضارة العصر، أي بالحضارة الغربية أساسا – و هي تتمثل في ما يلي - :المسرح، السينما، الفنون التشكيلية، القصة والرواية، الأوبيرات، الإنتاج الفكري و المعرفي الأكاديمي.

وإذا كانت مكونات الثقافة التقليدية الجزائرية لا تزال تساهم في تشكيل المشهد الثقافي الوطني الراهن كما يتجلى ذلك في الفنون اليدوية كالصناعات التقليدية، و النحاسية، والفخارية، والجلدية والطرز والحلين وفي فن الفلكلور وفي فن الطهي إلخ... فإن البعض منها قد كف عن الاستمرار كإنتاج ثقافي متجدد، من ذلك الشعر الغنائي النسائي التقليدي الذي كان يتداول في الأعياد والحفلات " الولادة، الختان، الحج، الزواج"، إذ حلت محله وسائل احتفالية حديثة، كما نجد أن أشكال القص الشعبي " السير، المغازي، والحكايات الخرافية" قد توقفت بسبب ظهور أشكال عصرية للحكي تعتمد على الكتابة كالرواية والقصة، وإلى دور الوسائل السمعية –البصرية في العصر الحديث في تلبية الحاجات الثقافية للمجتمع غير أن التغير لم يقتصر فقط على الوظيفة، بل امتدت أيضا إلى الانجاز. فإذا نظرنا إلى الفنون اليدوية، أي إلى الصناعات التقليدية النحاسية والفخارية و الحلي والطرز وغير ذلك، لا نجدها مجرد اجترار و تكرار لما كان يقوم به الأجداد، بل فيها بعض التعديل والتجديد. لكن التطور في مجال الثقافة

التقليدية لا يذهب إلى حد الانفصال عن الأصل أو النموذج، بل هو لا يتعدى الأجزاء و التفاصيل في الحقيقة.

3- مفهوم الهوية الثقافية: إن الهوية الثقافية كيان يصير ويتطور، وليس معطى جاهز ونهائي، فهي تصير وتتطور إما في اتجاه الانكماش، أو في اتجاه الانتشار، وهي تغتني بتجارب أهلها ومعاناتهم، انتصاراتهم وتطلعاتهم، وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى، التي تدخل معها في تغاير من نوع ما. وعلى العموم تتحرك الهوية الثقافية في ثلاث دوائر متداخلة ذات مركز واحد، وكما يأتي :

أ-الفرد داخل الجماعة الواحدة، هو عبارة عن هوية متميزة ومستقلة عبارة عن أنا لها آخر داخل الجماعة نفسها. أنا تضع نفسها في مركز الدائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النوع من الآخر، القبيلة، المذهب والطائفة أو الديانة، التنظيم السياسي أو الجماعي.

ب-الجماعات داخل الأمة، هم كالأفراد داخل الجماعة، لكل منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة، لكل منها أنا خاصة بها.

ج-الشيء نفسه يقال بالنسبة إلى الأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى غير أنها أكثر تجريدا، وأوسع نطاقا، وأكثر قابلية على التعدد والتنوع والاختلاف[5].

4- تعريف السياحة: سفر وإقامة الأفراد الذين لا يقيمون ولا يعملون في المنطقة بشكل دائم، وإقامتهم تستمر لليلة واحدة على الأقل، ولعام واحد على الأكثر، وتشمل أشكال السفر المرتبطة بالمهنة (العمل) والعلاج(سياحة مهنية وسياحة نقاهة) وتشمل كذلك أشكال السفر الحر الذي يهدف إلى الاستجمام والترفيه[6].

5- تعريف السياحة الصحراية: تعتبر نوع من أنواع السياحة، يهدف إلى زيارة المناطق الصحراوية والأثرية والتعرف على المسائر القديمة المتواجدة في الصحراء في عمق الرمال[7].

6- مفهوم المنتوج السياحي: هو مجموع العوامل والمقومات الطبيعية، الثقافية، التاريخية والمادية مع مختلف الوسائل والإجراءات التي لها القدرة على جذب السواح إلى مكان معين[8].

ويصنف المنتوج السياحي– حسب منظمة السياحة العالمية– إلى:

- التراث الطبيعي وما يحتويه من مقومات سياحية طبيعية، كالبحار، الأنهار، الصحاري، الجبال...
- التراث الطاقوي التقليدي، مثل الطرق المستخدمة في استخراج المياه، وفي الطواحين.
- التراث البشري، وما يتضمنه من التنوع في أنماط الحياة كالعادات والتقاليد وغيرها.
- الجوانب التنظيمية والإدارية والسياسية.
- الجوانب الاجتماعية مثل بنية المجتمع، العرق، الدين...
- الأنشطة الاقتصادية والمالية.
- التسهيلات الخدمية، كوسائل النقل، الإيواء والمطاعم[9]

7– مفهوم الصناعات التقليدية: يقصد بالصناعات التقليدية والحرف:" كل نشاط إنتاج أو إبداع أو تحويل أو ترميم فني أو صيانة أو تصليح أو أداء خدمة يطغى عليها العمل اليدوي"، ويجب أن تمارس بصفة رئيسية ودائمة، في شكل مستقر أو متنقل أو معرضي. و تكون تلك النشاطات حسب الكيفيات الآتية:

- إما فرديا.
- وإما ضمن تعاونية للصناعة التقليدية والحرف
- إما ضمن مقاولة للصناعة والحرف[10].

وفي تعريف آخر يقصد بالصناعات التقليدية والحرف والصناعة التقليدية الفنية "هي كل صنع يغلب عليه العمل اليدوي ويستعين فيه الحرفي أحيانا بآلات لصنع أشياء نفعية أو تزيينية ذات طابع تقليدي، وتكتسي طابع فني يسمح بنقل مهارة عريقة وأن تتميز بأصالتها وطابعها الانفرادي وإبداعها".

8– أنواع الصناعات التقليدية:

1. الصناعات التقليدية على أساس الحرف:

أ- الصناعات التقليدية والصناعات التقليدية الفنية: تتضمن ما يلي: صناعة المواد الغذائية (الزيتون، الخضر والفواكه الجافة، التمور،...الخ).

- صناعة المعادن بما في ذلك المعادن الثمينة.
- صناعة الصوف والمواد الماثلة.
- صناعة الخشب ومشتقاته وما يماثله.
- صناعة القماش.
- صناعة الجلود.
- صناعة المواد المختلفة (قارورات، أكياس، علب).

ب- الصناعات الحرفية لإنتاج المواد: نشاطات الصناعة التقليدية الحرفية للإنتاج والصناعة أو التحويل المرتبطة بقطاع المناجم.

- نشاطات الصناعة التقليدية الحرفية للإنتاج والصناعة أو التحويل المرتبطة بقطاع الميكانيك والكهرباء.

- نشاطات الصناعة التقليدية الحرفية للإنتاج والصناعة التحويلية المرتبطة بقطاع الحديد.

- نشاطات الصناعة التقليدية الحرفية للإنتاج والتحويل المرتبطة بقطاع النسيج والجلود.

- نشاطات الصناعة التقليدية الحرفية للإنتاج والتحويل المرتبطة بقطاع الخشب، التأثيث، الخردوات والأدوات المنزلية.

- نشاطات الصناعة التقليدية الحرفية للإنتاج والتحويل المرتبطة بقطاع الأشغال العمومية للبناء ومواد البناء[11].

ج- الصناعات التقليدية الحرفية للخدمات: يتضمن هذا النوع من الصناعات ما يلي:

- نشاطات الصناعة التقليدية الحرفية للإنتاج والصناعة أو التحويل المرتبطة بقطاع المناجم.

- نشاطات الصناعة التقليدية الحرفية للإنتاج والصناعة أو التحويل المرتبطة بقطاع الميكانيك والكهرباء.

– نشاطات الصناعة التقليدية الحرفية للإنتاج والصناعة التحويلية المرتبطة بقطاع الحديد.

– نشاطات الصناعة التقليدية الحرفية للإنتاج والتحويل المرتبطة بقطاع النسيج والجلود.

– نشاطات الصناعة التقليدية الحرفية للإنتاج والتحويل المرتبطة بقطاع الخشب، التأثيث، الخردوات والأدوات المنزلية.

– نشاطات الصناعة التقليدية الحرفية للإنتاج والتحويل المرتبطة بقطاع الأشغال العمومية للبناء ومواد البناء[12].

2. الصناعات التقليدية على أساس المنتوج:

– صناعة الألبسة التقليدية، الطرز التقليدي، صناعة النسيج والزرابي[13]، صناعة النحاس، صناعة الفخار، صناعة الجلود[14]، صناعة السلال(السعفيات)[15].

9 – مفهوم الحرفي: يعتبر حرفي كل شخص طبيعي مسجل في سجل الصناعة التقليدية والحرف، يمارس نشاطا تقليديا، يثبت تأهيلا ويتولى بنفسه مباشرة تنفيذ العمل، وغدارة نشاطه وتسييره وتحمل مسؤوليته[16].

10– آفاق تطوير الصناعة التقليدية: إن الحلول المتوقعة للتنمية المستديمة لتطوير الصناعة التقليدية بهدف مواجهة العراقيل والتحديات في المستقبل تلخص في النقاط التالية:

1– تطوير الشغل: يتعلق الأمر بمعطيات مركزية لإستراتيجية تطوير البلاد فيما يخص الصناعة التقليدية، لاسيما إنتاج المواد والخدمات التي يمكن أن تكون مرجعا أساسيا لخلق عدة مناصب شغل.

ونظرا لتنوع نشاطاتها فإن قطاع الصناعة التقليدية يمكنه أن يتطور عبر كل القطر، وبالتأقلم مع المتطلبات المحلية ونذكر بالأخص المجتمع البسكري وذلك من خلال:

– عدم تعبئة الوسائل المادية والمالية الهامة (تقليص تكلفة إنشاء مناصب الشغل).

– أن الجهاز الوطني للتكوين المهني بصدد تزويد القطاع بمستخدمين أكفاء.

– إدراك كبير من قبل الشباب لصعوبة الشغل تبعا لآثار الأزمة الاقتصادية، وبروز روح المقاومة بداخلهم وتوجيههم نحو قطاع المؤسسات الصغيرة والمتوسطة.

– الطلب المتزايد لمنتوجات وخدمات الصناعة التقليدية التي يمكن تطويرها بطريقة جد ملحوظة تتماشى والنمو الديمغرافي.

2– تغطية الاحتياجات الأساسية للسكان: تهدف الصناعة التقليدية لتعزيز المستوى، وتوزيع العرض من أجل المشاركة الفعالة والنشيطة التي تلبي احتياجات السكان في مجال المنتوجات والخدمات الأساسية خلال السنوات القادمة في المجتمع المحلي والوطني. ونظرا لكثرة الطلب مستقبلا، تبقى الصناعة التقليدية تهتم خصوصا بمجالات التغذية، الألبسة، الصيانة وخدمات ما بعد البيع، التجهيزات المنزلية التي يجب توفيرها للبيوت. كذلك تساهم الصناعة التقليدية في تهيئة البيوت والمحلات كما تعمل على تنمية المنتوجات الصغيرة الضرورية.

3– تحسين نوعية المواد والخدمات والإنتاج والإنتاجية: في مجال نوعية المواد والخدمات، فإن مستوى كفاءة الصناعة التقليدية بعيد عن المستوى المرجو. وإن الأهداف المتوفاة للسنوات القادمة تعتمد على التكفل بالبعد النوعي للمنتوجات والخدمات الذي يجب أن يبقى انشغالا دائما. كما أن التحسين في نوعية الخدمات والمواد الإنتاجية يكتسي طابعا هاما بالنظر للتحديات المستقبلية المتعلقة بالقدرة التنافسية للمواد والخدمات الوطنية على المستوى الوطني وفي الأسواق الخارجية.

4– المشاركة في مجهودات الإدماج الاقتصادي: تشكل الصناعة التقليدية في العشرين القادمة قوة منظمة بإحكام لتعزيز تطوير الاندماج الاقتصادي لبلدنا، ويدور هذا التنظيم حول محاور أهمها:

– تطوير تدخل الحرفيين في مجال صيانة التجهيزات العتاد الصناعي وأثاث الأشغال العمومية.

– المساهمة في تطوير وتثمين الإنتاج المحلي المعوض للمواد المستوردة، وفي هذا الإطار فإن الصناعة التقليدية يجب أن تشارك في المجهود الوطني لاسترجاع وإعادة تأهيل المنتوجات الوطنية، وكذا البحث عن المواد الأولية المعوضة وذات أصل وطني.

5- المساهمة في التصدير خارج المحروقات: في إطار محاربة آثار الأزمة الاقتصادية في المجتمع المحلي وبالعموم الوطني، يتم تنظيم مشاركة قطاع الصناعة التقليدية في تطوير صادراتنا على جميع الأصعدة.

6- تطوير النشاطات المهنية والتقنية ذات المستوى المعرفي الرفيع: يجب تجاوز خلال السنوات القادمة التصور الضيق، الذي يضع الحرفي في إطار الحدود المسطرة من قبل المعارف المعتادة للعامل المحترف. وفي هذا السياق، فإن مجال الصناعة التقليدية سيمتد إلى بعض المجالات الأخرى، حيث يتطلب التحكم فيها تكوينا عاليا وذا مستوى وكذا وسائل عصرية للتدخل والبحث. وإن هذا التطور التكنولوجي سيسمح برفع المؤهلات المهنية للحرفيين من أجل الانطلاق في إنشاء مؤسسات صغيرة ومتوسطة ناجحة، وكذا توفير الشروط الملائمة في المجتمع المحلي لا سيما قطاع الإنتاج الوطني.

7- المساهمة في التنمية الاقتصادية المحلية وفي تهيئة الإقليم: إن مختلف نشاطات الصناعة التقليدية بصدد التأقلم مع الشروط المحلية ويشكل هذا نقطة إيجابية للتطور الاقتصادي المحلي، كما أن دعم وترقية النشاطات يمكن أن يعدل وينظم للوعي بضرورة تهيئة الإقليم. وكذا في كل منطقة محددة بالبلد منطقة حضرية، جبلية، هضاب، مناطق الجنوب تكون مطابقة للتكيف مع تطور النشاطات الحرفية باختيار المجال المرتبط بالطلب المحلي والبيئي وتطورهما (توفر الموارد، الحرف المحلية والشغل الموجود وترقيته...الخ).

11 – التعريف بمنطقة بسكرة: تعتبر من أهم الواحات الكبرى في الجزائر، تمتد على مساحة تصل إلى 05 كم^2، تحوي مناطق فلاحية تقدر تقريبا بـ: 1300هكتار، بها حوالي 4.500.000 نخلة، والعديد من الأشجار المثمرة، تنتج العديد من أنواع التمور، أهمها: تمور " دقلة نور" المشهورة عالميا. تشتهر ولاية بسكرة بصناعات تقليدية عديدة أهمها صناعة الخزف، الفخار والحلي التقليدية، النسيج، كما تعرف صناعات أخرى مثل: صناعة الجلود والحدادة، مشتقات النخيل... كل هذه الحرف وغيرها تعكس التقاليد العريقة لبسكرة واتساع الروح الإبداعية لدى سكانها.

تشهد هذه الحرف والصناعات عدة معارض تقليدية يشارك فيها الحرفيون، ويعد هذا كنافذة من النوافذ التي تعرض التقاليد العريقة العديدة لمنطقة الزيبان. ومن أهم المواد الأولية بالولاية: الصوف، الشعر، الوبر، الجلود، مشتقات النخيل، الرمل المخصص لإنتاج الزجاج التقليدي، الطين، الجبس...

لقد عايش الإنسان الصحراوي عموما، والإنسان البسكري خصوصا، النخلة واستفاد من تمرها وبقية أجزائها فمنها مأكله ومنها مسكنه، ولا تقتصر تلك الاستفادة على جزء محدد، بل يمكن الاستفادة من جميع أجزائها بدءا من جذورها الضاربة في أعماق التربة إلى ذروتها الشامخة في عنان السماء، فالصناعات التقليدية المعتمدة على النخيل كثيرة ومتنوعة، على سبيل المثال، المنتج الرئيسي للنخيل هو التمور، والتمر من حيث تركيبته الكيميائية يحتوي على مركبات كثيرة كالسكريات والأحماض العضوية والدهون والبروتينات والألياف الغذائية وغيرها، وهذه المركبات يمكن أن تدخل في صناعات كثيرة، كالصناعات الغذائية والدوائية والكيميائية، ويمكن استخدامه في إنتاج بعض الأحماض كحمض الخليك وحمض الستريك، وتصنيع الكحولات، ونظرا لغناه بالمواد العضوية فإن التمر يمكن أن يلعب دورا مهما في مجال الطاقة الحيوية وتطوير منتجات الوقود الحيوي، أما مخلفات النخيل فيمكن أن تدخل في مجالات كثيرة، فبالإضافة إلى الصناعات التقليدية القائمة على السعف والليف، فإن مخلفات النخيل بعد المعالجة العضوية يمكن أن تكون أحد مصادر الوقود الحيوية والأسمدة الصناعية، وإنتاج الخشب المضغوط وصناعة الورق، كما يمكن استخدامها في صناعة الأعلاف الحيوانية وإنتاج أغذية مختلفة للحيوانات[17]. كما يستخدم جذع النخلة في تصنيع الأبواب والنوافذ والأعمدة، وما يتطلبه البيت التقليدي من أدوات، وهناك صناعات تقوم على جريد النخل وتهتم بتصنيع الأسرة والأسيجة لصد الرياح ومنع زحف الرمال...

فالنخلة منظومة من الخامات المختلفة التي تقوم عليها كثير من الصناعات التقليدية، ومن بين الصناعات التقليدية القائمة على النخيل ومشتقاته والموجودة في كامل تراب ولاية بسكرة:

1- الصناعات الغذائية: عسل التمر(الرب)، عجين التمر(الغرس)،معجون التمر، خل التمر، صناعة الحلويات التقليدية...

معجون التمر+ خل التمر عجينة التمر(غرس) المقروض زبادي بالتمر

2- الصناعات الفنية: صناعة تحف فنية من نوى التمر، من الكرناف(جزء من جريد النخل)...

تحف فنية من نوى التمر، الكرناف

3- حرفة صناعة السعفيات(السلالة): من أشهر الصناعات التقليدية في الولاية، حيث ظلت تمارس عبر التاريخ على نطاق واسع في معظم مناطق الولاية، وتدخل ضمنها: صناعة السلال، الحصير، المظلة، المروحة، الأطباق، القفة، الزنبيل، المكانس، الأثاث وهي كلها تساهم في التعريف بالمنطقة، وإبراز هويتها الثقافية.

مروحة قبعة (مظلة) قفة أثاث منزلي

الدراسة الميدانية:

لمعرفة واقع الصناعة التقليدية في ولاية بسكرة، ومدى مساهمتها في دعم وتطوير السياحة الصحراوية، قمنا بالاتصال بغرفة الصناعة التقليدية والحرف لولاية بسكرة، بغرض جمع المعلومات عن الحرفة والحرفيين.

حيث يبلغ إجمالي الحرفيين المسجلين على مستوى غرفة الصناعة التقليدية والحرف لولاية بسكرة، والمشتغلين في صناعة مشتقات النخيل حوالي 10حرفيين- مسجلين بصفة رسمية-، لذلك ارتأينا أن نجري معهم مقابلة، وقد قسمنا أسئلة المقابلة إلى محورين أساسيين، الأول حول الحرفيين والحرفة، والثاني حول كيفية التعريف بالمنطقة من خلال الحرفة ومنتوجها، وقد تمكنا من الاتصال بـ: 8 حرفيين وأجرينا

معهم المقابلات، أما الباقين فقد تعذر علينا الاتصال بهم لوجودهم خارج الولاية، وكانت النتائج كالتالي:

– بالنسبة للمحور الأول، والذي يتعلق بالحرفيين والحرفة فإن كل الذين أجريت معهم المقابلة ذكور، ما يفسر أن هذه الحرف تتطلب جهدي عضلي، ويتروح سنهم ما بين26 سنة و70سنة بمتوسط عمر بلغ 41 سنة، أما أنواع الحرف التي ينشطون فيها فهي ثلاث أنواع: الصناعات الغذائية القائمة على التمر، الصناعات الفنية والصناعات السعفية، حيث تمارس أغلب هذه الحرف في المنازل، وهذا حسب من أجريت معهم المقابلة والذين لا يملكون شهادة في الاختصاص، ولكن لديهم شهادة تأهيل تحصلوا عليها من غرفة الصناعة التقليدية، مما يفسر أن ممارسة هذه الحرف لا يحتاج إلى شهادة عالية وإنما يحتاج إلى المهارة، وقد تباينت أسباب ممارسة هذه الحرف بين الوراثة والهواية وتوفر المادة الأولية، هذه الأخيرة تكون متوفرة لديهم كملك خاص كامتلاكهم لواحات النخيل، غير أنها لا تكفي فيضطرون إلى شرائها، أما السعر فهو حسب قانون السوق الخاضع للعرض والطلب وحسب الموسم الفلاحي، لذلك فهم يجدون صعوبة في جلبها، إلا أن المادة الأولية الخاصة بالصناعات الفنية والصناعات السعفية فهي مجانا، لأنها تتمثل غالبا في نواة التمر وسعف النخيل، هذه الأخيرة التي تتطلب جهدا عضليا كبيرا ومهارة عالية في صناعتها والصبر لأنها تحتاج إلى الوقت الكبير لإخراجها في صورتها النهائية المتقنة.

– بالنسبة للمحور الثاني والذي يتعلق بكيفية التعريف بالمنطقة من خلال الحرفة ومنتوجها، وكذلك إبراز الهوية الصحراوية، حيث أن التعريف بالمنطقة يتم من خلال المشاركة في معارض محلية ووطنية ودولية، وفيها يتم التعريف بالمنتوج الذي يخص تلك المنطقة دون سواها، وتسويقه عن طريق البيع، أما فيما يخص الزبائن فقد أثبتت المقابلة بأنهم متنوعين من محليين وأجنبيين، الذين يقتانونها لأنها منتوج طبيعي بحت لا تدخل في تركيبه مواد كيماوية، بالإضافة إلى أنها أشياء تقليدية محببة وتدخل في استخدامات متنوعة وخاصة، كما أكدت المقابلات أن المنتوج في حد ذاته يعرف بالمنطقة لكون مادته الأولية خاصة بها، أما مميزات الحرفة والمنتوج والتي يستمدانها بطبيعة

الحال من البيئة الصحراوية فإن الذين أجريت معهم المقابلات أكدوا أن هذه الحرف تحتاج إلى الصبر والجهد العضلي وقوة المهارة في الإتقان والدقة، أما المنتوج فهو يستمد ألوانه وأشكاله من البيئة الصحراوية التي لها ألوان وأشكال خاصة بها، وهناك بعض المنتوج الذي يأخذ لون المادة الأولية المصنوع منها.

خاتمة:

يمكن لقطاع الصناعات التقليدية والحرف، الإستجابة بصفة إيجابية للمشاكل المطروحة في مجال التشغيل والتكامل الصناعي والإنتاج والحفاظ على التراث الثقافي. غير أن تنمية هذا القطاع تبقى مرهونة بعناية السلطات العمومية وبسياسة تدعيم متعددة الجوانب، فمن خلال احتكاكنا بالحرفين، وجدنا أن الصناعات التقليدية الصحراوية لازالت تحتاج إلى بعض الاهتمام من طرف المسؤولين المحليين، كما تحتاج إلى دراسات أكاديمية توجهها خاصة أنها تمثل منتوج ثقافي يبرز هوية وخصائص المنطقة، كما تساهم في التنمية المحلية الاقتصادية من خلال السياحة، خاصة وأنها تعتبر من أهم عناصر الجذب السياحي.

وعلى هذا الأساس، ينبغي:

- ضرورة الإهتمام الأكاديمي بالصناعات التقليدية– خاصة القائمة على مشتقات النخيل– من خلال إجراء الدراسات والبحوث حولها.
- ضرورة فتح فروع في التكوين المهني لتعليم هذه الحرف وال حافظة عليها من الإندثار.
- تقديم التسهيلات الإدارية والمالية للشباب الراغب في إنجاز مؤسسات للحرف التقليدية.
- ضرورة تكامل جميع القطاعات والهيئات الحكومية للنهوض بقطاع الصناعات التقليدية.
- الاهتمام بالصناعة التقليدية، للمساهمة في التنمية الإقتصادية، وفي التنمية السياحية، وبالتالي إيجاد البديل للاقتصاد الوطني خارج نطاق المحروقات.

الملاحق: استمارة المقابلة

	الاسم واللقب					
01	الجنس					
02	المستوى التعليمي	ابتدائي	متوسط	ثانوي	جامعي	
03	بلدية السكن					
04	نوع الحرفة					
05	سبب اختيار الحرفة	وراثة	هواية	ليس هناك بديل	أخرى	
06	الخبرة في ممارسة الحرفة					
07	هل لديك شهادة في الحرفة؟					
08	أين تمارس الحرفة؟	المنزل	مؤسسة	محل خاص	أخرى	
09	من أين تأتي بالمادة الأولية؟	ملك خاص	شراء	أخرى		
10	في حالة الشراء، هل السعر؟	غالي	رخيص	في المتناول		
11	هل تجد صعوبة في جلب المادة الأولية					
12	أين تكمن الصعوبة؟					
13	كيف يتم تسويق منتوجك؟	محليا	جهويا	وطنيا	دوليا	
14	هل سبق وأن شاركت في معارض؟					
15	في حالة نعم، ما نوع المعرض؟	محلي	جهوي	وطني	دولي	
16	ما هو الغرض من المعرض؟	للعرض	للبيع	الإثنين معا		
17	كيف تجد الإقبال على منتوجك؟	كبير	صغير	لا يوجد إقبال		
18	هل المقبلين على المنتوج؟	من داخل الوطن	من خارجه (سواح)			
19	ما هي مميزات منتوجك؟					
20	ما هي دوافع الإقبال على المنتوج؟					
21	كيف تساهم منتوجاتك في التعريف بالمنطقة؟					
22	ما هو الفرق بين الصناعة التقليدية الصحراوية، والصناعة التقليدية في منطقة الشمال؟					
23	ما هي المشاكل التي تعانون منها؟					
24	أي إضافات أخرى، تسرنا معرفتها					

الهوامش:

[1]– الشريف الجرجاني– **التعريفات**– دار عالم الكتب،ط1، بيروت،1987،ص:314.

[2]– محمد عمارة– **مخاطر العولمة على الهوية الثقافية**–دار النهضة للطباعة والنشر،ط2، مصر،1999،ص:6.

[3]– أنور الجندي– **حتى لا تضيع الهوية الإسلامية والإنتماء القرآني**– دار الاعتصام، سلسلة الرسائل الجامعية،د.س، ص:7.

[4]– كامل أبو صقر– **العولمة التجارية والإدارية والقانونية**– منشورات دار الوسام ودار مكتبة الهلال، ط1،بيروت،2000،ص–ص:380–318.

[5]– فلاح خلف علي الربيعي– **آثار العولمة الاقتصادية على الهوية الثقافية**– مجلة العلوم الإنسانية،www.ulum.nl

[6]– مصطفى عبد القادر– دور الإعلان في التسويق السياحي "دراسة مقارنة"– المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت،2003،ص:34.

[7]– صلاح الدين عبد الوهاب– **الكتاب السنوي للسياحة العلمية والفنادق**– الجمعية المصرية للخبراء السياحيين العالميين، منشأة المعارف، الإسكندرية،1998،ص:13.

[8]– ريان درويش– **الاستثمارات السياحية في الأردن**– رسالة ماجستير في العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر، 1997، ص:11.

[9]– صليحة عشي– **الآثار التنموية للسياحة "دراسة مقارنة بين الجزائر وتونس والمغرب"**– مذكرة ماجستير في العلوم الإقتصادية، جامعة باتنة،2005، ص:32.

[10] – المادة05 من أمر رقم 96–01 المؤرخ في 19 شعبان عام 1416 الموافق لـ 10 يناير سنة 1996، يحدد القواعد التي تحكم الصناعة التقليدية والحرف.

[11] – وزارة السياحة والصناعات التقليدية، دليل عملي (كيف أحدث نشاطي الخاص بتكييف المواد الغذائية)، ص–ص:1–2.

[12] – وزارة السياحة والصناعات التقليدية، مرجع سبق ذكره، ص4.

[13] – مجاني حياة، نين كريمة– **التحضر وواقع الصناعات التقليدية في منطقة بسكرة**– مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في علم الاجتماع، تخصص: حضري، جامعة محمد خيضر بسكرة، 1999 /2000،ص–ص:2–3.

[14] – نفس المرجع ، ص –ص: 37–39.

[15] – نفس المرجع، ص: 38.

[16]– الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة السياحة والصناعات التقليدية– **مدونة النصوص التشريعية والتنظيمية المتعلقة بالصناعات التقليدية والحرف**– فيفري 2009.

[17]– **الصناعات القائمة على النخيل**، شبكة الفاو الثقافية،www.google.com، 2011/03/24، 16:06.